إشكالات التنظير في الجمالية الإسلامية

الأستاذ المساعد الدكتور قيس إبراهيم مصطفى
جامعة الموصل /كلية الفنون الجميلة/قسم الفنون التشكيلية

ملخص البحث :

لقد حملت العقيدة الإسلامية الجديدة تصوراً شاملاً عن الكون والحياة والإنسان والفكر والفن .. ، انعكس بشكل مباشر على طبيعة المجتمع العربي ونشاطاته المختلفة ، ولاسيما الفكرية والفنية والجمالية ، قادته إلى تأسيس حضارة أصيلة ومتميزة بعمرانها وعلومها وفنونها استمرت لقرون عدة . ولكن لم يتسن للمفكرين والفلاسفة المسلمين من بلورة نظرية جمالية خاصة بهم ومعبرة في الوقت نفسه عن المظاهر المشرقة لهذه الحضارة . وعلى الرغم من توافر المقومات الأساسية لتأسيس هذه النظرية ، لاسيما فيما كتبه العلماء والفلاسفة على امتداد الحضارة الإسلامية في الزمان والمكان ، وكذلك فيما أبدعه الفنانون وأنتجه الصناع في العمارة والرقش والخط والأدب والشعر والتصوير، وغير ذلك ، إلا أن الفكر الجمالي الإسلامي لم يتبلور بعد على صيغة نظرية جمالية متكاملة ، ومما لاشك فيه أن سبب ذلك ، هو لوجود إشكالات حالت دون ذلك . وبحثنا الحالي يحاول ، فضلاً عن محاولات الآخرين وجهودهم ، الكشف عن هذه الإشكالات التي تقف في طريق نشوء هذه النظرية ، بغية دراستها وتحليلها وإيجاد الحلول المناسبة لها .

وأهمية بحثنا الحالي تكمن في كشفه لهذه الإشكالات ، وإسهامه مع جهود الآخرين في إضافة لبنة جديدة إلى بنية الفكر الجمالي الذي نسعى مخلصين لتأسيسه وبنائه . أما الحاجة من البحث فتكمن من حاجتنا لنظرية جمالية خاصة بنا ومعبرة عن زهو حضارتنا العريقة وتحمل في الوقت نفسه هوية امتنا الإسلامية المميزة . ولقد وضع البحث يده على أهم الإشكالات التي وقفت بطريق منظري الجمالية الإسلامية ، وهي :

١- إشكالية تحديد هوية الجمالية الإسلامية .
٢- إشكالية تحديد ميدان دراسة الجمالية الإسلامية .
٣- إشكالية التأثر بالفلسفة الإغريقية .
٤- إشكالية تحريم الإسلام بعض الفنون الجميلة .
٥- إشكالية خاصة بالمنظرين في الجمالية الإسلامية .

إن وجود هذه الإشكالات التي كشف عنها البحث لا يعني استحالة قيام نظرية جمالية في الإسلام على ارض الواقع ، بل بالعكس ، فان وعي حقيقة هذه الإشكالات وطبيعتها وانعكاساتها المختلفة ، توفر للمنظر الجمالي مادة فكرية خصبة للاجتهاد والتأويل في التنظير الجمالي .

Abstract :

I carried the new Islamic faith a comprehensive view of the universe, life, and human thought and art perception .., reflected directly on the nature of Arab society and various activities, especially the intellectual, artistic and aesthetic, led to the establishment of a genuine and distinct civilization with its architecture and sciences and arts lasted for several centuries. But it was not possible for thinkers and philosophers of Muslims develop their own expressive aesthetic theory at the same time bright for this civilization appearances. In spite of the availability of the basic components of the founding of this theory, particularly as written by scientists and philosophers throughout the Islamic civilization in time and space, as well as ordained artists and produced by artisans in architecture andOrnamentation, calligraphy, literature, poetry, photography, and so on, but the Islamic aesthetic thought has yet to take shape on a formula integrated aesthetic theory, and is no doubt that the reason for this, is the existence of problematic prevented that. We discussed the current tries, as well as the attempts of others and their efforts, disclosure of these problems that stand in the way of the emergence of this theory, in order to study and analyze and find appropriate solutions.

The importance of this lies in our search to detect these problems, and its contribution to the efforts of others to add a new element to the structure of aesthetic thought we faithful to its founding and construction. The need of the search lies of our need and our own expressive Zhou ancient civilization to the theory of aesthetic and carry at the same time the identity of our nation Islamic characteristics. The research put his hand on the most important problems that stood in the path of Islamic and aesthetic theorists, namely:

1. identify problematic Islamic aesthetic identity.
2. The problem of determining the aesthetic field of Islamic study.
3. problematic influenced by Greek philosophy.

4. problematic prohibition of Islam some of Fine Arts.
5. Researchers particularly problematic in Islamic aesthetic.

The existence of these problems revealed by the search does not mean impossibility of aesthetic theory in Islam on the ground, on the contrary, the awareness of the fact that these problems and the nature of the various implications, provide landscape aesthetic material intellectual ground for the discretion and interpretation in endoscopic aesthetic.

الفصل الاول
مقدمة البحث

أولاً : مشكلة البحث :

بعد فترة وجيزة من ظهور الإسلام ، بدأت ملامح التغيير تسري بسرعة في جميع نواحي المجتمع العربي ، اذ حملت العقيدة الإسلامية الجديدة تصوراً شاملاً عن الكون والحياة والإنسان والفكر والفن ... انعكس بشكل مباشر على طبيعة هذا المجتمع ونشاطاته المختلفة ، ولاسيما الفكرية والفنية والجمالية ، قادته إلى تأسيس حضارة أصيلة ومتميزة بعمرانها وعلومها وفنونها. ولكن لم يتسن للمفكرين والفلاسفة المسلمين من بلورة نظرية جمالية متكاملة خاصة بهم ومعبرة في الوقت نفسه عن المظاهر المشرقة لحضارتهم . وعلى الرغم من ظهور محاولات عدة لدى الكثير من المعنيين بهذا الموضوع من القدماء والمحدثين ، إلا أنها مازالت قاصرة وتحتاج إلى بذل المزيد من الجهود الفكرية والتطبيقية . ومما لاشك فيه أن عدم نضوج هذه النظرية إلى حد الآن هو لوجود إشكالات حالت دون ذلك . وبحثنا الحالي يحاول ، فضلاً عن محاولات الآخرين وجهودهم ، الكشف عن هذه الإشكالات وتحديدها والتعرف عليها ، بغية إيجاد الحلول المناسبة لها . ومشكلة بحثنا يمكن تجسيدها وصياغتها بالسؤال الآتي : ما هي الإشكالات التي حالت دون بلورة نظرية جمالية إسلامية ؟ .

ثانياً : أهمية البحث والحاجة إليه :

لاشك في أن لكل امة من الأمم ، ولكل حضارة من الحضارات خصائصها المميزة وتصوراتها الخاصة عن الفكر والفن والجمال ، وهكذا أصبحنا نسمع ونقرأ عن الفكر الجمالي العراقي القديم والجمالية المصرية الفرعونية القديمة والجمالية الإغريقية والجمالية الغربية الحديثة .. وغيرها . ولكن بالنسبة للعرب والمسلمين فلم تنضج عندهم بعد ، نظرية جمالية خاصة بهم ، ولابد أن يكون هناك أسباب وإشكالات وقفت حائلاً دون ذلك . وان معرفة هذه الإشكالات وتحديدها يوفر الجهد للدارسين والمعنيين في تحليلها وإيجاد الحلول المناسبة لها . وأهمية بحثنا الحالي يكمن في كشفه لهذه الإشكالات ، وإسهامه مع جهود الآخرين في إضافة لبنة جديدة إلى بنية الفكر الجمالي الذي نسعى مخلصين لتأسيسه وبنائه . أما الحاجة من البحث فتكمن من حاجتنا لنظرية جمالية خاصة بنا ومعبرة عن زهو حضارتنا العريقة وتحمل في الوقت نفسه خصائص التصور الإسلامي المميزة .

ثالثاً : هدف البحث :

التعرف على إشكالات التنظير التي تقف في طريق نشوء نظرية جمالية إسلامية مميزة .

رابعاً : منهجية البحث :

انطلاقاً من طبيعة البحث النظرية الفكرية ، اعتمد الباحث المنهج الوصفي لتحليل المحتوى الفكري ، وهو احد مناهج البحث العلمي المعتمدة .

خامساً : حدود البحث :

يتحدد بحثنا الحالي بدراسة الإشكالات التي تقف بوجه تأسيس نظرية جمالية إسلامية ، وفقاً لامتداد الحضارة الإسلامية في المكان والزمان المعلومين . ووفقاً لحدود بحثنا الموضوعية المتمثلة بالإشكالات الآتية :

٦- إشكالية تحديد هوية الجمالية الإسلامية .

٧- إشكالية تحديد ميدان دراسة الجمالية الإسلامية .

٨- إشكالية التأثر بالفلسفة الإغريقية .

٩- إشكالية تحريم الإسلام بعض الفنون الجميلة .

١٠- إشكالية خاصة بالمنظرين في الجمالية الإسلامية .

سادساً : تحديد المصطلحات :

(١): الإشكالية :

في اللغة : (أشكَلَ الأمرُ : التبسَ) ، وأختلط ، ويقال : أشكَلَت عليّ الأخبارُ ، وأحكَلَت ، بمعنىً واحدٍ ، ومنه قيل للأمر المشتبه : مشكلٌ . قال الراغب : الأشكالُ في الأمر استعارةٌ كالاشتباه من الشبه ، ... (وأمورٌ أشكالٌ) : (ملتبسةٌ) مع بعضها مختلفة . (والأشكَلَةُ) بفتح الهمزة والكاف : (اللبسُ) . (والاشكَلُ) من سائر الأشياء : (ما فيه حمرة وبياض يضرب إلى الحمرة والكدرة)(١).

وفي الاصطلاح : (هي منظومة من العلاقات التي تنسجها داخل فكر معين مشاكل عديدة مترابطة لا تتوفر إمكانية حلها منفردة ، ولا تقبل الحل من الناحية النظرية إلا في إطار عام يشملها جميعا)(٢).

أما تعريفنا الإجرائي الذي يتوافق مع انساق البحث فهو : أنها تمثل مجموعة من المسائل أو المشاكل العالقة ، والمعرقلة ، في الأفكار والتصورات المتباينة ، لما فيها من لبس ، لبلوغ هدف خاص بقضية أو ظاهرة ما ، والتي لم تأخذ طريقها إلى الحل بعد .

(٢) : الجمالية :

في الاصطلاح : هي علم الجمال (الأستطيقا) الذي انطلق من رحم الفلسفة الحديثة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . (وعلم الجمال علم يبحث في شروط الجمال ، ومقاييسه ، ونظرياته ، وفي الذوق الفني ، وفي أحكام القيم المتعلقة بالآثار الفنية ، وهو باب من الفلسفة)(٣) .

والجمالية (الأستطيقا) (علماً نظرياً يبحث في مشكلات الجمال في الفن ، تلك المشكلات المتجددة التي تضمن للأستطيقا عملاً مستمراً أو تطوراً دائماً . وتصبح علاقة هذا العلم النظري بالفن هي علاقة المساحة بالهندسة ، أو علاقة الطب بالفسيولوجية)(٤).

أما الجمالية الإسلامية فتعريفنا الإجرائي لها: فهي علم الجمال الذي يدرس الجمال في جميع نواحي الوجود ، في الكون والحياة والفكر والفن ، وذلك من زاوية التصور الإسلامي لنواحي الوجود تلك . فهو على هذا الأساس يختلف عن الجماليات الأخرى ، ولاسيما الجمالية الغربية الحديثة والمعاصرة ، في مجال عملها .

الفصل الثاني :
الإطار النظري للبحث
مدخل إلى الجمالية الإسلامية

لقد ظهر مصطلح الجمالية الإسلامية في مقابل جماليات عالمية أخرى لها إرثها الحضاري والفكري الخاص بها . وقد عني المهتمون به لدراسة الإرث الحضاري الذي أنتجته الحضارة الإسلامية في مراحل ازدهارها العظمى في الفكر والجمال والفن ، هذه الحضارة التي ربطت نفسها بالدين الإسلامي الذي خرج بها من نطاق المحلية الضيقة إلى العالمية الواسعة . إن النظر العقلي في قضايا الجمال المختلفة لابد أن يستند إلى تصور فلسفي عميق ينطلق من الجزئيات إلى الكليات ليشمل الوجود كله . والدين الإسلامي يوفر هذا التصور. ويرى (عز الدين إسماعيل) إن (النظرية الجمالية عند العرب غير متبلورة حتى الآن . فهي لا يمكن تمثلها من حيث هي نظرية متكاملة فصل القول فيها احد الفلاسفة العرب وتناولها تناولاً مستقلاً يشعر بالاهتمام أو يشعر بالوعي ، كما لا يمكن تتبعها في تطورها التاريخي ، لان البداية غير واضحة ، وعناصر التكوين غير متميزة)(٥). لذا كان أمام علماء الجمال والفلاسفة المسلمون المعاصرون مهمة كبيرة وأساسية وهي السعي ليكون للأمة الإسلامية كما للآخرين نظرية جمالية إسلامية واحدة جامعة شاملة أصيلة تستمد أصالتها من روح الدين الإسلامي وتكون معبرة في الوقت نفسه عن تصورات هذا الدين عن الخالق (جل وعلا) وعن مخلوقاته جميعاً. وعندما قلنا أن يكون للإسلام نظرية جمالية واحدة ومميزة ، وذلك لأن للمسلمين إله واحد ودين واحد وكتاب واحد لا غير .

إن حقيقة الجمال في الإسلام ترجع بالأساس إلى اعتبار أن الجمال هو مظهر للحقيقة وليس الحقيقة ذاتها . وهذا المظهر الذي أقترن بالحقيقة لابد أن يعبر بصدق تام عنها ، وهو لا يكون كذلك إلا إذا تمثل الجمال ، بحيث تتجلى الحقيقة من خلاله على أبهى وأوضح ما يكون . كما يرى الإسلام أن هناك نوعاً آخراً من الجماليات سماها بالجماليات الزائفة ، وهي تلك الجماليات المخادعة التي تظهر شيئاً وتبطن شيئاً أخراً. وكان من الطبيعي أن يقف الإسلام بوجهها ويحاربها كي لا تشيع الفاحشة والرذيلة في المجتمع الإسلامي .

والجمالية الإسلامية ليست ترف فكري وليس غايتها في ذاتها ، إنما غايتها أعمق وابعد من ذلك فهي تهدف إلى تأصيل هوية امة عريقة بعروبتها وإسلاميتها ، ورسم شخصيتها المميزة ، وهذه الأمة تستحق أن تأخذ مكانتها الحقيقية بين الأمم بما ارتكزت عليه من أسس روحية وفكرية ومادية أصيلة وعريقة . وغياب حضورها في ثقافة مجتمعنا العربي والإسلامي ، أدى إلى تسلل الأفكار السلبية الغربية الى هذا المجتمع .

فالجمالية الإسلامية هي تلك الأبحاث التي تهتم بدراسة الجمال من حيث مفهومه وأصوله ومظاهره المختلفة وخصائصه المميزة ، وذلك على وفق التصور الإسلامي المتصف بالمثالية والموضوعية والشمولية والإنسانية ، على حد سواء ، فهي علم الجمال في الإسلام . وهي ثمرة الحضارة الإسلامية بما أفرزته من نتاجات فنية وفكرية جمالية على الصعيدين النظري والتطبيقي . حيث (يمكن أن نصنف الفكر الجمالي العربي الإسلامي تحت النمط المثالي-الموضوعي من بين الأنماط الأربعة التي سادت الفكر الجمالي الإنساني

وهي النمط المثالي الموضوعي ،والنمط المثالي الذاتي ، والنمط الذاتي- الموضوعي ،والنمط المادي الميتافيزيقي ، وتصنيفنا للفكر الجمالي العربي الإسلامي تحت النمط الأول ينهض من اعتبار هذا الفكر أن الجمال في الموضوعات الروحية والمادية منحة إلهية تمظهرت بمظهر الكمال . فلا جمال في الأشياء لولا تلك المنحة)(٦) .

فلم يكن التفكير الجمالي غائباً كلياً لدى الفلاسفة المسلمين ولكنه لم يكن فاعلاً بقوة عندهم ، ولدى متابعتنا لتاريخ الفكر الجمالي العربي الإسلامي لم نعثر على فيلسوف جعل الجمال محور نشاطه الفكري والفلسفي ، أو أنه تمكن من إفراد كتاب أو مؤلف بذلك ، كما نلاحظه اليوم في أوربا والغرب من ظهور أسماء لامعة كان الجمال ميداناً لاختصاصهم الفكري . ومع ذلك فنحن لا يمكن أن نتجاهل ما قدمه الفلاسفة والمفكرون والمتصوفون المسلمون من آراء في الجمال والفن . وعلى الرغم من أن آرائهم لم تأخذ مساحة واسعة من تفكيرهم الفلسفي ، إلا أنها على درجة كبيرة من الأهمية ، فلو نظرنا إلى آراء أبو حامد الغزالي التي جاءت في كتابه الشهير (إحياء علوم الدين) لوجدنا أن نسبة ما كتبه من آراء جمالية يعد ضئيلاً جداً قياساً إلى ما كتبه من موضوعات أخرى . ومع ذلك فأن ما طرحه من آراء وأفكار في الجمال كانت جادة كل الجد ، من جانب ، وأصيلة من جانب آخر .

وما قلناه عن الغزالي يكاد ينطبق على الفلاسفة الآخرين من أمثال الفارابي وأبن سينا وابن رشد وابن حزم الأندلسي .. ولكنه ربما لا ينطبق على أبي حيان التوحيدي ، الفيلسوف المسلم الذي كانت لديه اهتمامات فنية خاصة لاسيما في مجال الخط والكتابة ، لذلك نراه قد أفاض بكثير من الآراء التي تدور حول الصناعة الفنية والجمالية وتقنيات الفنون والإبداع ، ومهارات الفنان، وأثر النفس الإنسانية في نزوعها نحو الإبداع والتجديد ونحو ذلك.

ولكن للجمال في الإسلام حقيقة أساسية أرتكز عليها وصاغ مفاهيمه المختلفة من خلالها . ونقصد بها الجمال الإلهي بوصفه حقيقة الجمال وأصله .إن مفهوم الجمال الإلهي في النظرية الجمالية الإسلامية يختلف عما هو عليه في نظريات الغرب الحديثة والمعاصرة ، ففي الجمالية الإسلامية يتسع هذا المفهوم ليشمل كلاً من الخالق والمخلوق على حد سواء . أما في الجمالية الغربية فهو يقتصر على ما يسمى بالجمال الطبيعي . فالجمال الإلهي بنظرهم هو الجمال الطبيعي ، ليس لأنه من صنع الله بل لأنه من صنع الطبيعة نفسها . ومع ذلك لم يتفق الغربيون على تقدير موحد لهذا الجمال فمنهم من رفع من شأنه كأصحاب المذهب الطبيعي وأصحاب نظرية الجمال من أجل الجمال . ومنهم من تطرف برأيه ونادى بعبادة الطبيعة . ومنهم من حط من شأنه ويقف في مقدمتهم كانط وهيجل اللذين لم يجدا في هذا النوع من الجمال أية قيمة فكرية ترتجى منه وتستحق التقدير . أما الجمالية الإسلامية فترى أن الجمال الطبيعي هو مظهر من مظاهر الجمال الإلهي وجزء لا يتجزأ منه . وهو جمال أصيل ومعبر عن أصالة مرجعه ومصدره فجمال الطبيعة دليل على جمال الله (جل وعلا) وجمال الله بالمقابل دليل على جمال الطبيعة أيضاً . وأن مفهوم الجمال الإلهي أكبر وأوسع بكثير من مفهوم الجمال الطبيعي فهو يمثل جمال الخالق تعالى أولاً ثم جمال مخلوقاته التي منها الطبيعة .

والجمالية الإسلامية ، وعلى الرغم من وجود إشكالات كثيرة ومصاعب شتى تقف أمام بلورتها في صيغة نظرية مستقلة ، إلا أنها تقف على أرضية عقائدية صلبة ، ونقصد بها وحدة العقيدة الإسلامية القائمة على توحيد الله (جل وعلا) ، قال تعالى)ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ((الأنعام/١٠٢) . فلقد (كان التوحيد هو الهاجس الإيماني الذي سيطر على إحساس الفنان المسلم الواعي ، وتغلغل إلى الذات الإنسانية ، اللاواعية فأصبحت تنطلق في كافة أشكالها التعبيرية بموقف التوحيد ، وهكذا أصبح اتجاه الكل صوب الوحدة)(٧) .

فلما كان لكل جمالية منطلقاتها الخاصة بها ، فأن الجمالية (الإسلامية) ولأنها إسلامية فقد كان الإسلام ، في تصوراته عن الوجود وخالق الوجود ، منطلقها الأول والأخير وهذه المنطلقات تعد ركناً أساسياً لا غنى عنه للجمالية الإسلامية وهو بتصورنا يعد ركناً جاهزاً ويسيراً يمكن الركون إليه والانطلاق منه . فوحدة الفكر الجمالي ، الذي ارتكز على المعطى القرآني والسنة النبوية المطهرة ، لابد ان يجد له صدىً ايجابياً يعين المنظرين في ابحاثهم ، حيث انعكست هذه الوحدة الفكرية على وحدة الفن الإسلامي في جميع مراحل تاريخه المشرق ، (فالوحدة .. تلك هي السمة الرئيسية التي تميز بها الفن الإسلامي - بكل أنواعها - على غيرها من فنون الأمم الأخرى .

هذه الوحدة ، التي تخطت عامل (المكان) فلم يفرقها بعد المسافات بين ديار المسلمين وامتدادها ، كما تخطت عامل (الزمان) فلم يغيرها مرور الأيام وتتابع القرون)(٨). وأصبحت هذه الوحدة سمة أساسية من سمات الفن الإسلامي الجمالية . فوحدة العقيدة الإسلامية القائمة على مبدأ التوحيد تجلت بشكل واضح على وحدة الفن الإسلامي ، بحيث أصبح (ما يلفت النظر في هوية الفن الإسلامي هو وحدته ، فهو يمتاز مع ذلك بتنوعه وليس هناك من فن من الفنون في العالم على الإطلاق تمكن من الاحتفاظ بشخصيته الواحدة كالفن الإسلامي على الرغم من ذلك التنوع الرحب)(٩) .

الفصل الثالث
إجراءات البحث
إشكالات التنظير في الجمالية الإسلامية

أولاً : إشكالية تحديد هوية الجمالية :

من المعلوم أن علم الجمال قد ولد في أحضان الفلسفة ، وان اغلب القائمين على هذا العلم هم من الفلاسفة . ولهذا السبب نرى أن علم الجمال قد ورث الكثير من إشكالات الفلسفة نفسها. وقد كان من إشكالات الفلسفة الإسلامية هي تحديد هويتها ، ويرى (الأهواني) انه (يجدر بنا أن نفصل في قضية عنوان هذه الدراسة ، أهي فلسفة إسلامية أم فلسفة عربية ، لما لهذا التمييز من اثر في موضوع هذه الفلسفة ذاتها)(١٠) .

إن إشكالية تحديد هوية الجمالية ، هي من الإشكالات الرئيسة التي تقف في طريق التنظير في الجمالية الإسلامية ، إذ تقف في مقدمة اهتمام الدارسين والباحثين لها ، حينما تفرقوا فيها إلى ثلاثة فرق ، وهي :

الأولى : ترى أن تكون هذه الدراسات تحت عنوان الجمالية العربية ، وذلك لتمييزها عن الجماليات الغربية ، ويستند أصحاب هذا الرأي على وحدة المكان الذي يسكن فيه العرب ، فضلاً عن وحدة التراث العريق لهم ، الذي يمتد ليشمل نتاجات ما قبل ظهور الإسلام ، ثم ظهور الإسلام وبعده ، وفضلاً عن وحدة اللغة التي يتحدث بها مجموعة من السكان ، التي جعلها الله (جل وعلا) لغة القرآن الكريم ، قال تعالى) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ((الزخرف/٣). وهذا الرأي يعطي طابعاً قومياً لهذه النتاجات . وكان من ابرز دعاة هذا الرأي هو الكاتب السوري (عفيف بهنسي) الذي يرى (أن تسمية (الفن العربي) تعني إعطاء هذا الفن صفة قومية حضارية مستقلة ، تحدد أصوله الأولى وتوضح امتداداته وتأثيراته ، كما توضح التداخلات والتأثيرات الحضارية الأخرى التي تمثلها واندمجت في شخصيته)(١١) ويرى أيضاً (أن كلمة (عربي) هي النحت الأفضل لتحديد صفة هذا الفن القومية ، ونحن لا نقصد بها مجرد ربط هذا الفن بالدول العربية اليوم ، أو ربطه بالجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده ، وإنما ربطه بحضارة عريقة مازلنا نكتشف أبعادها في أعماق التاريخ . وهذه الحضارة ذات شخصية موحدة بلغتها وجغرافيتها)(١٢) . ولكن مصطلح الجمالية العربية يغفل دور الكثير من الدول والشعوب من غير العربية التي حملت راية الإسلام وآمنت به . وأسهمت في بنائه وازدهاره الحضاري الأصيل .

الثانية : ترى أن تكون تحت عنوان الجمالية الإسلامية ، وهو يهتم بالنتاجات الحضارية التي ظهرت بظهور الإسلام وذلك لغرض أن يكون الإسلام مجالها العقائدي والفكري الأساس . ويرى (مصطفى عبد الرزاق) في كتابه (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) : إن هذه الفلسفة قد وضع لها اسماً اصطلحوا عليه ، فلا يصح العدول عنه ، ولا تجوز المشاحنة فيه . ثم يخلص من ذلك إلى قوله : (ونرى أن نسمي الفلسفة التي نحن بصددها كما سماها أهلها ، (فلسفة إسلامية) بمعنى أنها نشأت في بلاد الإسلام وفي ظل دولته ، من غير نظر لدين أصحابها ولا لغتهم)(٣) . ومصطلح الجمالية الإسلامية ، في الوقت نفسه ، مصطلح رحب يتسع صدره ليشمل جميع البلدان والشعوب التي أنتقل إليها الإسلام وانتشر فيها ، وسارت بنهجه وساهمت في بنائه وازدهاره ، وهي تتحدث بألسنة أخرى غير اللسان العربي . ويؤكد (إبراهيم مدكور) انه (ليس القول بفلسفة عربية أنها من جنس أو امة ، ومع ذلك أؤثر تسميتها إسلامية ، لان الإسلام ليس عقيدة فقط ، ولكنه أيضاً حضارة ، ولكل حضارة حياتها الأخلاقية والمادية والفكرية والعاطفية . والفلسفة الإسلامية تشمل إذن كل ما كتب من دراسات فلسفية في ارض الإسلام سواء بأقلام المسلمين أو النصارى أو اليهود) (١٤) . ومع ذلك فالقول (بالفلسفة الإسلامية) قول يغفل ما أنتجته الشعوب العربية قبل ظهور الإسلام .

الثالثة :ترى أن يجمع بين العنوانين السابقين ليكون بالتالي تحت عنوان واحد وهو (الجمالية العربية الإسلامية) .حيث يراد من مفهومي العربية والإسلامية ، في هذه الجمالية ، التعبير عن قمة ما وصل إليه العرب في ظل دينهم الجديد (الإسلام). علماً أن هذا الرأي لم يؤخذ به كثيراً إلا من قبل اللذين يحاولون

التوفيق بين مفهومي العروبة والإسلام (سياسياً). وهذين المفهومين يحملان بالأساس ، وفي المفاهيم الحديثة والمعاصرة ، وفي أصولها ومرجعياتها ، إشكالية كبيرة بين ما يسمى بالقومية والأممية على التوالي .

ثانياً : إشكالية تحديد ميدان دراسة الجمالية الإسلامية :

إن إشكالية تحديد ميدان دراسة الجمالية قد وفدت إلينا من الغرب ، ولم تكن من الإشكالات الأساسية التي تقف في طريق التنظير في الجمالية الإسلامية .

فلما كان الجمال في الإسلام هو ظاهرة كل الظواهر وهو القاسم المشترك لجميع عناصر وأركان الوجود – الإلهية – الكونية – الحياتية – الإنسانية ، فقد بسط الجمال نفوذه على سائر الموجودات وغطت سماته الرائعة جميع المخلوقات ،(إن ثمة إقرارا بان الجمال هو السمة المشتركة بين الموجودات كافة . انه السمة التي لا يخلو منها موجود حاز على كماله اللائق به)(١٥) . وفي الحقيقة ما كان للجمال هذا النفوذ إلا لأنه فاض عن المصدر الأوحد للجمال المتمثل بالجمال الإلهي.

ولقد اختلفت الجمالية الإسلامية عن الجمالية الغربية الحديثة التي تنكرت لكل المفاهيم السابقة ، فما عادت تهتم للجمال الإلهي أو الطبيعي أو القيمي ، حيث ركزت جل اهتمامها لدراسة الجمال متمثلاً بالفن حصراً . أما ارتباطات الجمال بالمجتمع وبالحياة وبالأخلاق فقد حررت نفسها من هذه الأمور واتخذت موقفاً معادياً لها . لذلك يرى أصحاب هذه النظرة أن الحديث عن الجمال خارج إطار الفن لا معنى له ويصب في باب الترف الفكري النظري اللامجدي ، ومن ذلك الحديث عن الجمال الإلهي بوصفه الحديث عن مفاهيم غيبية مجردة . أما الجمالية الإسلامية فهي لا تبحث عن الجمال في الفن فحسب بل تبحث عنه كما هو متظاهر في الكون والحياة وفي الفكر والفن .. كما تبحث في ارتباطاته في كافة شؤون الإنسان الأخلاقية والاجتماعية والثقافية . وترى في طبيعة هذه الارتباطات علاقة جدلية لا يمكن تجاهلها لأي سبب كان . فالإسلام وراء الجمال أينما وجد إن كان في الفن أو الطبيعة أو الحياة ..(إن ساحة الجمال هي الوجود كله ، وان الإسلام أوصل الجمال إلى مجالات لم تعرفه من قبل ، ونؤكد هنا أن ساحة الجمال نفسها هي ساحة الفن ، وهي ساحة لا تضيقها الحدود ، ولا تحصرها الحواجز ، ذلك أنها ساحة منهج التصور الاسلامي)(١٦). والجمالية الإسلامية ترى أن الجمال في الفن قد أستمد مقوماته وسماته وخصائصه المختلفة من جمال الكون والحياة والإنسان ، ومن الطبيعة نفسها أيضاً . وحيث أنها جميعاً مخلوقات أوجدها الله (جل وعلا) فقد استمدت جمالها من جمال خالقها تعالى الذي فاض جماله على جمال مخلوقاته جميعاً . وعلى هذه الاعتبارات يرى (عفيف بهنسي) أن (الفن الإسلامي كان تطبيقاً للفكر الإسلامي ، فثمة تداخل بين الفكر وصيغ الفن تجعلنا نقول ، أن القواعد الجمالية التي قام عليها الفن ، هي ذاتها قواعد الفكر التي إستقرأها علماء كالكندي والفارابي والجاحظ وأبي حيان التوحيدي . ونحن عندما نعيد قراءة هؤلاء العلماء فأننا سنجد أمامنا الخيوط الأولى التي حاكت بمهارة بنية فلسفة الفن الإسلامي)(١٧) . لذلك نرى أن إشكالية تحديد الميدان الخاص للدراسات الجمالية ، هي إشكالية غربية صرفة ولا تمت لمنهج الفكر الجمالي الإسلامي بصلة ، ولكن المستشرقون ومن سار بركبهم أرادوا أن يوردوها لنا ، من دون وجه حق .

ثالثاً : إشكالية التأثر بالفلسفة الإغريقية :

ومن الإشكالات الأساسية التي عصفت بالجمالية الإسلامية وأثرت على بلورة أفكارها في صيغة نظرية جمالية متكاملة هي عقدة الفلسفة الإغريقية ، اذ كانت وما زالت توصم الفلسفة الإسلامية بالتأثر بالفلسفة الإغريقية . فقد تأثر المفكرون المسلمون بفلاسفة الإغريق وفي مقدمتهم سقراط وأفلاطون وأرسطو ، حيث أعجبوا بأطروحات سقراط الأخلاقية وأفلاطون المثالية وأرسطو الواقعية . ونحن نعلم أن علم الجمال (بشكل عام) قد نشأ في حضن الفلسفة ومن ذلك الجمالية الإسلامية . كما نعلم أيضاً أن بعض علماء الدين المسلمين ينظرون إلى الفلسفة ، عامة ، نظرة إزدراء وعدم احترام بسبب وجود فلسفات اشتطت في أفكارها ولاسيما فيما يتعلق بالجانب الإلهي من التفكير الفلسفي ، هذه الأفكار التي أتسمت في بعض الأوقات بالشرك أو الحلول والإتحاد مع الإله أو بالإلحاد وعدم الاعتراف بوجوده ، هذه الأمور جعلت من هؤلاء العلماء يناصبون العداء للفلسفة والفلاسفة ، مما أدى إلى تخلف التفكير الفلسفي ومن ثم الجمالي عند المسلمين عما نجده الآن عند فلاسفة أوربا والغرب . والأسوأ من ذلك هو ما تعانيه الفلسفة الإسلامية من عقدة الفلسفة الإغريقية ، وهي عقدة التأثير الكبير والواضح على مجمل تفكير الفلاسفة المسلمين. فلا نكاد نجد فيلسوفاً مسلماً قد نجا من هذا التأثير . ولكن إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الفلاسفة المسلمين هم الذين حافظوا على الإرث الفلسفي الإغريقي من الضياع ، وهم من قام بدراسة وتحليل وتفسير هذا الفكر ، وهم بالتالي من طوره وأوصله من جديد إلى الفكر الغربي والأوربي الحديث والمعاصر . فكان للفلاسفة المسلمين الفضل كل الفضل في إيصاله إلينا ، ثم إنهم تمكنوا من أن يوفقوا بين آراء فلاسفة الإغريق بعد أن فهموا جوهر فلسفتهم .

ومن ذلك التوفيق بين رأي الحكيمين أفلاطون وأرسطو . كما تمكن الفلاسفة المسلمين من التوفيق بين الفلسفة الإغريقية ذات الطابع المثالي والموضوعي بالمعتقدات الدينية الإسلامية التي آمنوا بها . ولكننا يجب أن نعلم أن عقدة التأثر بالفكر الإغريقي هي ليست عقدة الفلاسفة المسلمون وحدهم ، بل هي عقدة كل فيلسوف ظهر من بعدهم ، فلم يتمكن فلاسفة القرون الوسطى من أمثال توما الأكويني وأوغسطين من القفز على الفلسفة الإغريقية ، كما لم يتمكن الفلاسفة المحدثون من أمثال كانط وهيجل وشوبنهاور من ذلك أيضاً . فضلاً عن الفلاسفة المعاصرين من أمثال بندتو كروتشة وهنري برگسون وجون ديوي وهيوم ، وغيرهم .

ولم يتمكن أي واحد من الإفلات من تأثير الفلسفة الإغريقية ، فهو إما مؤيد لما جاءت به أو معارض لها أو مطور أو مجدد . ونحن نرى أن هذا التأثير ليس بالأمر المعيب بل على العكس من ذلك فهو مسألة طبيعية في حركة التطور التاريخي للفكر الإنساني . ودليلنا على ذلك أن كتب الفارابي وابن سينا وابن رشد ما زالت تدرس إلى الآن في أرقى الجامعات العالمية ، تماماً مثلما تدرس كتب أفلاطون وأرسطو فيها . فهذه الكتب ذات طابع فكري إنساني عام بصرف النظر عن خصوصية مؤلفيها .

ومما تقدم نرى بأنه لا يمكن لأي باحث علمي محايد ونزيه أن ينكر أن الجمالية الإسلامية تأثرت في جانبيها النظري والتطبيقي بالحضارات الإنسانية التي سبقتها أو التي عاصرتها ، ولاسيما الحضارة الإغريقية التي سبقت ظهور الإسلام .

والفنانون والمعماريون والصناع المسلمون هم أيضاً تأثروا بنظرائهم من البلاد التي فتحها المسلمون وأنتشر فيها الإسلام ، فأخذوا عنهم التقنيات والأساليب في البناء والأعمار والفنون ، (فلم يمض وقت طويل حتى ابتداء الفن الإسلامي بالتكون المستقل عن الخلفيات الفكرية والفلسفية التي كونت الفنون السابقة للإسلام ،التكون المرتبط بمبادئ العقيدة التي لم تعد مجرد تعاليم دينية ، بل أصبحت فكراً جديداً مصدره الأول هو الشريعة الإسلامية ، ومصدره المتجدد هو مدارس الفلسفة الإسلامية)(١٨) ، ولكن لم يكن حينها المسلمون مقلدين وإنما كانوا يمزجون ما أخذوه عنهم بما لديهم من خبرات ومعارف ومهارات ومزجوها بروح عقيدتهم الجديدة ، تلك العقيدة التي غيرت مجرى حياتهم وتفكيرهم تغييراً جذرياً شاملاً عن الكون والحياة والإنسان ، فضلاً عما أحدثه الإسلام في مفاهيمهم الثقافية والفنية والجمالية . (فمع إحتكاك الدين بالفلسفة والعلوم وثقافات الشعوب ظهرت تنويعات في هذا الوعي الجمالي ، لكنه لم يتخل في جميع أطروحاته الجمالية عن منطلقين أساسيين هما التوحيد وهو غاية الفكر الإسلامي ، والوحدة في نظام العالم الذري والاجتماعي والكوني ، وهي وحدة قائمة على التوازن والتجاذب والتناسب والانسجام والروح ، ومن تلازم هذين المبدأين كانت وحدة الفكر ووحدة الجمال)(١٩). فكان ثمرة ذلك هو هذا الإرث العلمي والفني والثقافي الذي أنتج الحضارة الإسلامية التي أنتجت بدورها ما يسمى بالجمالية الإسلامية .

ومع كل ذلك ، فقد اختلفت الجمالية الإسلامية من حيث المبدأ والمنهج عن الجمالية الإغريقية التي جعلت من الإنسان مقياساً لكل شيء وراحت تصور آلهتها على الصورة البشرية عندما تكون في أبهى حالاتها ، فهبط مستوى جمال آلهتهم إلى مستوى الجمال البشري ، وعلى الرغم من أن الجمالية الإغريقية كانت السباقة في ربط الجمال بالخير والأخلاق والفضيلة ، حيث كان سقراط المؤسس الأول لهذه العلاقات ، إلا أن الفكر الوثني الذي آمنوا به جعل تصوراتهم المختلفة تتجه نحو تمجيد الإلهة الوثنية ، فاهتموا بحياكة الملاحم والأساطير التي تصور بطولات آلهتهم وصراعاتها المختلفة .

أما الجمالية الإسلامية فقد اختلفت في آرائها الفكرية والجمالية اختلافاً جذرياً نظراً لإختلاف تصوراتها عن الله (جل وعلا) وعن الكون والحياة والإنسان (فهي نتاج الوعي الجديد بعد أن استكملت البشرية رحلتها الطويلة من المجسد إلى المجرد)(٢٠) أي من الفنون التجسيمية التشخيصية إلى الفنون التجريدية . فهي ترى أن الله ليس كمثله شيء وعلى هذا الأساس لا يمكن تصويره أو تشبيهه أو تمثيله على أية هيئة حسية وعاها الإنسان . ولكن يمكن تصوره عقلياً على أنه الأكبر والأعظم والأرحم والألطف والأجمل والأكمل.. ونحو ذلك .

رابعاً: إشكالية تحريم الإسلام بعض الفنون الجميلة :

ولعل من أعظم وأعقد الإشكالات التنظيرية التي وقفت بوجه الجمالية الإسلامية وحالت دون تبلور أفكارها في صيغة علم جمال إسلامي ، وأعاقت سيرها هي مسألة تحريم الإسلام بعض الفنون التشكيلية التي تعتمد التشخيص والتجسيد الواقعي للجسم البشري أو الحيواني والذي يقصد من جرائه مضاهاة الخالق (تعالى) في خلقه وصنعه ، فكان سبب هذا التحريم هو لمنع العودة إلى عبادة الأوثان والأصنام ، حيث مازال المسلمون الأوائل قريبي عهد من العصر الجاهلي الذي يذكرهم بمظاهر وشعائر الدين الوثني . ومن الجدير بالذكر أن التحريم لم يختص بالدين الإسلامي وحده ، ويرى (إتيان سوريو) أن (الشعوب

السامية على وجه الإجمال نزعت فيما يبدو إلى الاحتراس من الفن التجسيمي الذي لا يخلو من وزر الوثنية والتعلق بالجسد وبالمادة وبالأشكال المحسوسة . فالوصية التالية من سفر الخروج تنص صراحة وبصورة عامة على ما يأتي : (لا تضع لك تمثالاً منحوتاً ، ولا صورة ما مما في السماء من فوق ، وما في الأرض من تحت ، وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن . لأني أنا الرب إلهك)(٢١) .

وذكر (عفيف بهنسي) أن المستشرقين قد نظروا إلى الفن الإسلامي على انه (زخرفة أو تجريداً لابتعاده عن الشبه المحرم في الإسلام . ومع أن بعض المختصين بالفن الإسلامي أرادوا بحسب خلفياتهم الدينية أو النظرية أن يفصلوا جمالية الفن الإسلامي عن الجماليات الأخرى ، وان يبحثوا في أصالة الفن الإسلامي وفلسفته ، فان دراستهم لم تسلم من عقدة الفكرة المسبقة الثابتة ، من أن هذا الفن هو وليد المنع ، وانه فن ديني وان أصوله تكمن في الفن البيزنطي أو الفن الساساني السابقين للإسلام)(٢٢). وليس من الذكاء في شيء تجاهل إشكالية التحريم في الإسلام ، وان هذه الإشكالية قد ألقت بظلالها على توجهات الفنون الإسلامية ، حيث دفعتها نحو التجريد (فالروحية الإسلامية تحترس على الأخص من مخاطر الفن التجسيمي ، وتجد لها ضمانات كبرى في استعمال الفن التجريدي . من هنا ، من هذه الوجهة خصوصاً ، يجب تفسير الوضع الجمالي للفن الإسلامي من الناحية التجريدية. أضف إلى ذلك أن الفن التجريدي هو بالضبط الفن الذي يستجيب ، في العالم العربي ، لما تقتضيه الحاجة الجمالية اقتضاءً شديداً ودقيقاً)(٢٣) . ويؤكد (رياض عوض) هذا المنحى بقوله : (إن الحس الجمالي الأصيل في الفن الإسلامي إن كمُن في شيء فهو يكمن في التوجه ألزخرفي الذي جسد حساً جمالياً رفيعاً في النفس العربية ، ذلك التوجه ألزخرفي الذي امتاز بالمزج بين بساطة الوحدة الزخرفية وتعقيد تشعباتها ضمن إيقاع موسيقي متساوق ، وقد يكون التحريم الذي طال تصوير الهيئة البشرية قد ألهب الرغبة لدى الفنان المسلم لتأكيد المنحى ألزخرفي الذي دخل حياة الناس من الباب العريض : دخل بيوتهم وآنيتهم وغرف نومهم وكتبهم وحلي نسائهم)(٢٤) .

ولا يختلف اثنان أبداً من أن التجريد في الفن الإسلامي ، قد عبر ، خير تعبير ، عن روحية المجتمع الإسلامي . ومن هذا المنطلق ، يرى بعض المهتمون بالجمالية الإسلامية أن لجوء فناني الزخرفة نحو التجريد هو (نتيجة لرقي المستوى الفكري والذهني والإحساس الفني لديهم ، وليس لسبب مزعوم من تحريم تصوير الكائنات الحية أو العاقلة)(٢٥) . ولما كانت الجمالية الإسلامية معنية بدراسة الجمال في الفن وفي غيره من نواحي الفكر والحياة ، فأنه لابد أن يكون لها موقفاً واضحاً إزاء هذا التحريم فهي تجد نفسها واقعة بين أمرين أثنين ، الأول وهو تحريم رجال الفقه والشرع لهكذا نوع من الفنون التي رجعوا فيها إلى جملة من الأحاديث النبوية الصحيحة والمسندة . والثاني هو هذه الفنون التي لا يراد منها (الآن) إلا تحقيق غايات فنية أو جمالية خالصة أو غايات تعبيرية إنسانية صرفة ، وليس معصية الله (تعالى) أو مضاهاته في الخلق والإبداع . فلم تتمكن الجمالية الإسلامية من تجاهل هذه القضية ، وفضلاً عن ذلك ، وجد بعض كتاب الجمالية أنفسهم محرجين إزاءها ، ونحن بدورنا نتفهم طبيعة هذا الإحراج ونرى أن على الجمالية الإسلامية أن تفرق ابتداءً بين مسألتين إثنتين أتخذ الدين الإسلامي منهما موقفين أثنين أيضاً . المسألة الأولى تتعلق بالجمال ، حيث وقف الإسلام منه موقفاً إيجابياً وأمرنا أن نتمثل الجمال في كل شيء ، في تصوراتنا وأفكارنا وفي أقوالنا وأفعالنا وفي صناعاتنا وفنوننا ، والقرآن الكريم ما أنفك يدعونا إلى تأمل

الجمال في صفحات الكون والحياة والطبيعة . فهذا التأمل سيقودنا حتماً إلى إدراك خالق الجمال (جل وعلا) . أما المسألة الثانية فهي تتعلق بالفن والعمل الفني ، والدين الإسلامي لم يقف بوجه جميع الفنون وإنما وقف ضد تلك الفنون التي تسيء إلى القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية . والتي يمكن أن تعيد الإنسان إلى عصر التخلف والجاهلية ، لذلك كان الأولى بالمعنيين بالجمالية الإسلامية أن يدركوا أن ليس بالضرورة أن يكون كل ما هو جميل (فناً) أو كل ما هو فني (جميل) ، وهذا يعني أن إرتباط الفن بالجمال أو إرتباط الجمال بالفن ليس هو الحالة الثابتة في كل صفحات تاريخ الفن ، ولكن الإسلام أكد على ضرورة إرتباط الفن بالجمال إرتباطاً قيمياً يسمو بالفن والذائقة إلى أرفع المستويات . ولكن هذا لا يتأتى في الدين الإسلامي إلا من خلال اقتران كل من قطبي العمل الفني ونقصد بهما (الشكل والمضمون) ، (بالجمال) ، فلا يمكن أن يقبل الإسلام شكلاً جميلاً بمضمون قبيح ، وهو (أي الإسلام) يرى أن أبشع القبائح هي التي تعود بالعقل الإنساني إلى حضيض الشرك بالله (جل وعلا) من خلال تضمين أشكاله الفنية مضامين وثنية تقوده إلى عبادة مادون الله (جل وعلا) .

خامساً : إشكالية خاصة بالمنظرين في الجمالية الإسلامية :

ومن الإشكالات التي تعيق طريق الجمالية الإسلامية هي تلك التي تتعلق بالمنظرين الجماليين أنفسهم ، فكان لظهور عدد غير قليل من دعاة الجمالية الإسلامية الذين لا يمتلكون الخبرة الجمالية الكافية التي تؤهلهم للكتابة في موضوعات علم الجمال وفلسفته ، يعد إشكالية كبيرة وخطيرة ، فهم على الرغم من امتلاكهم الرغبة العارمة في الكتابة في هذا الموضوع إلا أنهم ، وفي الوقت نفسه ، يخلطون كثيراً بين المفاهيم والمصطلحات الخاصة أو المتعلقة بالموضوعات الجمالية . فيأتون بمصطلحات ويضعوها في غير موضعها . أو يعتقدون أن كثرة استخدام هذه المصطلحات يمكن أن يجعل دراساتهم وبحوثهم أكثر رصانة . فعلى سبيل المثال نراهم لا يفرقون بين القيم الجمالية والقيم الأخلاقية أو الدينية أو العملية ويعتقدون أنه بالإمكان أن تسد قيمة ما مسد الأخرى . فظهرت مؤلفات ورسائل وأطاريح تحت عناوين (القيم الجمالية في .....) ويتصورون أن كل ما هو أخلاقي هو جميل أو بالعكس . كما يخلطون بشكل غير مقبول بين الأحكام الجمالية الخاصة بآلية التذوق الجمالي وبين الأحكام النقدية التي تتم وفقاً لتصورات عقلية قبلية منهجية . وقد أشار (الشامي) إلى (قلة الباحثين الإسلاميين في هذا الموضوع ، وأكثر الذين كتبوا عن الفن والجمال ، إنما كانت كتاباتهم ترجمات لكتب لم تتحدث عن الفن الإسلامي ، أو تحدثت وكانت قاصرة على مفاهيم فردية شرقية أو غربية)(٢٦) .

والجمالية الإسلامية لها خصوصيتها كما للجماليات الأخرى فكل جمالية لها منطلقاتها الخاصة ورؤاها المميزة ومواقفها المحددة ، أما الخلط بين هذه وتلك فهذه مسألة وقع فيها الكثير من المنظرين . ولهذا يؤكد الكاتب عفيف بهنسي بالقول أنه (لا يمكن استعارة المنطلقات للفنون الأخرى لدراسة الفن الإسلامي) (٢٧)، وهذا ما وقع فيه البعض ، ونؤكد نحن بدورنا القول أنه لا يمكن أيضاً استعارة المنطلقات الجمالية الشرقية أو الغربية ، القديمة منها أو الحديثة أو المعاصرة ، لدراسة الجمالية الإسلامية . ولا يمكن أن نقيس القيم الجمالية والفنية التي جاء بها الإسلام بمقاييس النظريات الأوربية والغربية . فمحاولات من هذا النوع ستؤدي بالنتيجة إلى إخضاع التراث العربي والإسلامي لوصايا تلك النظريات . بما يؤدي إلى الإساءة المتعمدة لهذا التراث .

ومع ذلك هناك عاملاً مهماً ومشجعاً يغري المعنيين بالكتابة في هذه النظرية ونقصد به ما تركه لنا السلف من أرث حضاري زاخر في مجالات مختلفة من الفكر والفلسفة والجمال والفن والأدب والبلاغة والنقد... يتسم بالجدة والأصالة ، يمكن الرجوع إليه والإفادة منه في صياغة نظرية جمالية إسلامية واضحة ومميزة . لذا يؤكد(عز الدين إسماعيل) أن (هناك بطبيعة الحال طريقان لكل من يحاول تمثل النظرية الجمالية عند العرب : الأول هو ذلك الذي يدرس النتاج الأدبي ليصور منه موقفهم من الجمال وانفعالهم به ، والثاني هو ذلك الذي نجده عند المفكرين الذين تمثلت مشكلة الجمال في عقولهم فراحوا يدرسونها ويحللونها)(٢٨). ومع ذلك لم تأخذ الجمالية الإسلامية حقها من الدراسة والبحث على الرغم مما تمتلكه من ثراء فكري وفني زاخر يوفر للمهتمين كل أسباب النجاح .

(فالكتابة في الجماليات الإسلامية تحتاج إلى استقراء شامل وعميق لحضارة رائعة امتدت أربعة عشر قرناً وما تزال ، ابتدأت بالنص القرآني وانتهت إلى إبداعات متنوعة في الفنون والآداب .. لقد كان التطور الذي أحدثه الإسلام في حياة الناس وأفكارهم جذرياً ، والمعجزة القرآنية الرائعة لم تضع البشرية أمام موضوع كبير ، وتصور جديد ، وطرائق موضوعية في التفكير فحسب ، وإنما وضعتهم أيضا أمام وعي جمالي جديد يجد تجلياته في الفكر واللغة والسلوك والفن والعمارة)(٢٩).

الفصل الرابع
نتائج البحث واستنتاجاته

أولاً : النتائج :

١- إن الجمالية الإسلامية هي علم الجمال في الإسلام المعبر عن زهو الحضارة الإسلامية وتألقها بين الحضارات الأخرى ، وهو العلم الذي يبحث في شؤون الجمال أينما وجد في صفحات الوجود .

٢- أكد البحث أن الجمالية الإسلامية ليست ترف فكري ، فهي تهدف إلى تأصيل هوية امة عظيمة بانجازاتها ، وعريقة بعروبتها وإسلاميتها .

٣- وجد البحث إن هناك إشكالات ذات طابع عقائدي كما في إشكالية تحريم الإسلام بعض الفنون ، وهي اكبر اشكالية تواجه المنظر في الجمالية الاسلامية ، وهناك إشكالات فكرية سياسية كما في إشكالية تحديد هوية الجمالية الإسلامية ، وهناك إشكالات فلسفية خالصة ، كما في إشكالية تحديد ميدان دراسة الجمالية ، وإشكالية التأثر بالفكر الإغريقي . وهناك إشكالية ذات طابع ثقافي ذاتي خاصة بالمُنظِر الجمالي .

٤- إن إشكالية تحديد ميدان دراسة الجمالية قد تم توريدها من الثقافة الجمالية الغربية الحديثة والمعاصرة ، ولم تكن متجذرة في الثقافة العربية أو الإسلامية . حيث يراد من الجمالية الإسلامية أن تقتفي اثر الجمالية الغربية ، في أن يكون ميدان الفن هو الوحيد من دون ميادين الوجود الأخرى .

٥- خلص البحث إلى أن إشكالية تأثر الفلسفة الجمالية الإسلامية بالفلسفة الإغريقية ، يمكن النظر إليها من باب تواصل الحضارات ، بدليل أن الفلسفة الأوربية والغربية الحديثة والمعاصرة هي الأخرى قد تأثرت بالفكر الإغريقي ، وقد لا نجد أي فيلسوف جاء بعد الفلاسفة الإغريق ، إلا وتأثر بهم .

ثانياً : الاستنتاجات :

١- إن وجود هذه الإشكالات التي كشف عنها البحث لا يعني استحالة قيام نظرية جمالية إسلامية على ارض الواقع ، بل بالعكس ، فان وعي حقيقة هذه الإشكالات وطبيعتها وانعكاساتها المختلفة ، توفر للمنظر الجمالي مادة فكرية للاجتهاد والتأويل في التنظير .

٢- إن التجربة الإسلامية في الجمال والفن لا يمكن إخضاعها لمقاييس وأحكام أوربية أو غربية حديثة أو معاصرة ، فالتجربة الإسلامية لا تخضع إلا لمعايير وأحكام إسلامية خالصة ، أما وان حدث غير ذلك ، فلا يمكن تأسيس نظرية جمالية في الإسلام على الإطلاق .

٣- إن الإشكالات في النظرية الجمالية الإسلامية بحاجة إلى بذل المزيد من الجهود الفكرية والتطبيقية بغية الوصول إلى كمال تحققها .

مصادر البحث :

١- القرآن الكريم .

٢- د. احمد فؤاد الأهواني ، الفلسفة الإسلامية ، المكتبة الثقافية (٦٩) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة : ١٩٦٢م .

٣- إتيان سوريو ، الجمالية عبر العصور ، ت : د. ميشال عاصي ،منشورات عويدات ، لبنان - بيروت :١٩٧٤م .

٤- الجابري . محمد عابد ، نحن والتراث ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت : ١٩٨٥م .

٥- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي / بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان : ١٩٨٢م .

٦- د. رياض عوض ، مقدمات في فلسفة الفن ، الناشر (جروس برس) ، طرابلس – لبنان : ١٩٩٤م .

٧- الزبيدي . محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : د. حسين نصار ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٩م .

٨- د. سعد الدين كليب ، البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق : ١٩٩٧م .

٩- الشامي . صالح احمد ، الفن الإسلامي / التزام وإبداع ، دار القلم ، دمشق : ١٩٩٠م .

١٠- د. عبد القادر فيدوح ، الجمالية في الفكر العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق: ١٩٩٩م .

١١- د. عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي / عرض وتفسير ومقارنة ، ط٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة : ١٩٥٥م .

١٢- د. عفيف بهنسي ، اثر الجمالية الإسلامية في الفكر الحديث ، دار الكتاب العربي ، دمشق : ١٩٩٨م .

١٣- د. عفيف بهنسي ، جمالية الفن العربي ، سلسلة عالم المعرفة (١٤) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت : ١٩٦٩م .

الهوامش :

١. الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢٩ ، ص ٢٧١ .
٢. الجابري . محمد عابد ، نحن والتراث ، ص ٢٧ .
٣. جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج١ ، ص ٤٠٨ .
٤. د. عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص ٢٧ .
٥. د. عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص ١٢٨ .
٦. سعد الدين كليب ، البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي ،ص١٤١ .
٧. د. رياض عوض ، مقدمات في فلسفة الفن ، ص ١٩٩ .
٨. صالح احمد الشامي ، الفن الإسلامي / التزام وإبداع ، ص ٤١ .
٩. د. رياض عوض ، مقدمات في فلسفة الفن ، ص ١٩٩ .
١٠. د. احمد فؤاد الأهواني ، الفلسفة الإسلامية ، ص ١٠ .
١١. د. عفيف بهنسي ، جمالية الفن العربي ، ص ١٢
١٢. المصدر السابق ، الصفحة نفسها.
١٣. د. احمد فؤاد الأهواني ، الفلسفة الإسلامية ، ص ١١ .
١٤. المصدر السابق ، ص ١٦ .
١٥. سعد الدين كليب ، البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي ، ص ١٦٦ .
١٦. صالح احمد الشامي ، الفن الإسلامي / التزام وإبداع ، ص ٤٠ – ٤١ .
١٧. عفيف بهنسي ، أثر الجمالية الإسلامية في الفن الحديث ، ص٢٢ .
١٨. عفيف بهنسي ،اثر الجمالية الإسلامية في الفن الحديث ، ص٨.
١٩. قلعة جي ، عبد الفتاح رواس ، مدخل إلى علم الجمال الإسلامي ، ص١٤ .
٢٠. المصدر السابق، ص ٢٣ .
٢١. إتيان سوريو ، الجمالية عبر العصور ، ص ١٧٦ .
٢٢. د. عفيف بهنسي ، اثر الجمالية الإسلامية في الفن الحديث ، ص ٢٤ .
٢٣. إتيان سوريو ، الجمالية عبر العصور ، ص ١٧٩ .
٢٤. د. رياض عوض ، مقدمات في فلسفة الفن ص ٢٠٢ .
٢٥. عبد القادر فيدوح ، الجمالية في الفكر العربي ، ص ٤٦ .
٢٦. صالح احمد الشامي ، الفن الإسلامي / التزام وإبداع ، ص ٣٥ .
٢٧. عفيف بهنسي ، أثر الجمالية الإسلامية في الفن الحديث ، ص٧ .
٢٨. د. عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص ١٣٤ .
٢٩. قلعه جي ،عبد الفتاح رواس ، مدخل إلى علم الجمال الإسلامي ، ص٢٣